واقعية الاشتراكية في النقد العراقي المعاصر

بقلم
عبد الكاظم عيسى

ما طرحه حزيران ١٩٦٧ ، من ثقل كبير على واقع المجتمع العربي وكبوة الجماهير العربية في تطلعاتها انذاك ، وتطور العمل الفدائي الى فعل مقاومة ومجابهة مستمرة ، وتغير الاحداث في العراق ، بصورة ما ، وما صحبها من تجدد نوعي في الظروف السياسية والاجتماعية ، هذه التناقضات المختلفة ، برزت بشكل من الاشكال في الحركة الادبية في العراق ، وساهمت في امتداد نسغ جديد ، في جذعها بصورة واضحة ، وهو بالطبع انعكاس لوجه جديد للواقع الممتد من انتكاسة ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ حتى النكسة الحزيرانية . وقد بانت القصة القصيرة اكثر انتاجا ونشرا . صحبها المسرح في الموضوع والمترجم من المسرحيات (المطبوعة والممثلة) ، يليهما الشعر ، فالقصة الطويلة . وليس ثمة شك في ان هذا النسغ الجديد ، حمل بين طياته تطورا فنيا ، وتجديدا في الرؤية الابداعية ، متمشيا مع التطور الاجتماعي وتطور الوعي الفكري خاصة ، وهو علامة صحية في مجمل التطور الثقافي العام .

ومن خلال متابعة ورصد الحركة الادبية المعاصرة هذه ، نجدها تفتقر الى الكشاف الذي يشخص مسارها ، ويكشف ويبلور الرؤيا الصادقة مع معرفة الاصالة من سيول الزيف والافتعال فيها ، ويساهم في معالجة ظواهرها واطرها الابداعية ، من خلال تحليل ابعادها ، وتياراتها الفنية . ولا شك ايضا ان افتقارها لكشاف ... للنقد الموضوعي ، له اثره في تخلخل امتدادها وتطورها الى مراحل جديدة ، ومميزة (١) ..

واذا كانت الموضوعية والمشاركة في الصدق الفني والمعاناة في الخلق الابداعي ، وابراز وظيفة الادب ، اهم سمات النقد العلمي في تشريح العمل الادبي ، فان (معظم) ما تنشره الصحافة الادبية ، مما تسميه نقدا او دراسات نقدية (٢) ، لا يتصف بادنى حصيلة من هذه السمات، ولذا فهو لا يتعدى كونه انطباعات سريعة، مبتسرة، وتعميمات سطحية ، ومبالغات ساذجة ، ضمن دائرة المجاملات الشخصية ، والنفاق الاجتماعي ، واغلب هم كتابها هو كما قال اليوت يوما ، عن النقاد المعاصرين له : ينصرف الى المصالحة ، وتخدير الحواس ، واسكات الاصوات ، والربت على الاكتاف ، والتزاحم ، والتبرير ، ومزج المهدئات الحلوة المذاق ، والتظاهر بانه لا خلاف بينهم وبين الاخرين ، وان كل ما في الامر ، انهم رجال طيبون ، بينما يخالط الشك سمعة الاخرين (٣) .

هذه الاشارة ـ الحقيقة ، توضح مدى احتياج الحركة الادبية المعاصرة الى النقد .. احتياجا كبيرا ، يواكب عملية التطور والابداع فيها ، فاين هو النقد ؟.. وما حصيلة تاريخ الادب العراقي الحديث من النقد ؟.

ان الجواب في الحقيقة هو الشيء المستغرب في مسار الحركة الادبية ، اذا قورنت مثلا بالحركة الادبية في القطر المصري او اللبناني ... اذ ان النقد كان وما يزال شكلا من اشكال الدراسات الاكاديمية ، وهذا يعني تجاوزا لفظيا على مفهوم النقد الادبي ومهمة الناقد والادب، وحتى التجاوز هذا ، لا يسمح في الكثير باطلاق التسمية على ما توفر من الكتابات ـ بلا انكار لقيمتها ـ . وهي بصورة ما ، دراسات نظرية ـ تاريخية ، او احصائيات وتعاريف بالنتاج الادبي ، تتخللها لمسات او انطباعات او ملاحظات نقدية ، وهذا معظم ما نشر من الكتب ، (ولا اريد ان القي بجرة قلم دراسات جمعت بين مفهوم النقد والدراسة الاكاديمية ، وقد برزت بنفسها ، وهي قليلة لا تعدو اصابع اليد .) التي سجل عليها نقدا ، واعتبرتها الصحافة الادبية في مجال النقد ، ثم ما تناثر هنا وهناك من مقدمات لبعض العطاءات الادبية، او التعقيبات او الهوامش الصغيرة ، والكتابات التي اشرت اليها ، وهذه الاشارة

---

(١) ليس همنا هنا تقييم الحركة الادبية المعاصرة ككل ، ولنا راي فيها ، مثبت في مقال آخر ، وهي كاي حركة ادبية صاعدة تحمل معها السلب والايجاب ، ولكن ما يؤسف ان معظم ما تنشره الصحافة الادبية وبرامج الاذاعة عندنا من نتاجات ادبية ، يكاد يكون صورة مزينة للجانب السلبي ، وبتحصيل حاصل ، ما هو الا صراخ مدبلج ، وهلوسات مراهقة لادعياء تمثيلها ، اما الخلاقون ، الحقيقيون بتمثيلها ، فاما ان تواضعهم الادبي والاخلاقي يمنعهم من التباري مع الادعياء ، او العوامل الاخرى المعروفة هي السبب الثاني .

(٢) للعلم فقط . ان نقادا عرفوا بدراسات جيدة ، كان الامل كبيرا فيهم في تحقيق ما تصبو اليه الحركة الادبية ، الا انهم لاسباب ما ، انزلقوا في سراديب المجاملة ، وكسب العيش ، وانحدرت كتاباتهم الى السطحية والمداجاة . صمت بعض ، وبعض يكتب بين حين وآخر .

(٣) نقلا من مقالة سليمان فياض، (جيل بلا نقاد،) مجلة الاداب، ص ٧٩ ع ٥ ايار ١٩٧١

السريعة الى واقع النقد ، تثير الملاحظتين التاليتين :

أ : عدم توفر ناقد متخصص ومتابع ، في مجال النقد الادبي ، يكتب ويدرس النتاج الادبي ، من خلال منهج نقدي ، وفهم واسع بالتراث الادبي ، والنقدي . واعتبر هذه الملاحظة سببا مهما في تقصير النقد عن المواكبة .

ب : لا تعني الاشارة السابقة الى انعدام النقد الموضوعي انعداما كاملا ، بل تعني شحه من جهة ، وتخلفه عن المواكبة المستمرة ، والمتابعه الكاشفة لكل ما في الحركة الادبية من صدق واصالة ، او اضمحلال وتهويل من جهة اخرى .

وتخلف النقد ، وشح الدراسات ، وعدم توفر ناقد متخصص ، ارى انها تعود الى عوامل عديدة ، منها تخلف المجتمع حضاريا ، وتخلف النقد انعكاس لهذا التخلف ، اذ انه اضافة الى كونه عملية ابداعية بحد ذاته ، فهو يعتمد على طروحات « الفنون والعلوم الاخرى ، كالعلوم اللغوية ، والمنطق ، وعلم النفس ، وعلوم الانثروبولوجيا ، والاثار ، والميثولوجيا وعلوم الاجتماع والتاريخ واحيانا العلوم الرياضية والطبيعية » (٤) والعلوم البيولوجية « وغيرها من العلوم والدراسات التي ساهمت في زيادة فهم الانسان لميوله الغريزية ولثوراته وحاجاته الاجتماعية المختلفة والتي عمقت بوعي وبراعة عجيبين القدرة على الغوص في اعماقه الانسانية ومنحته المفتاح العلمي لفهم العلاقة بينه وبين واقعه ، ومن ثم القدرة على تطوره الاجتماعي ، عبر حركة القوى الانتاجية » (٥) . وايضا افتقار الحركة الادبية الى تراث نقدي واجيال من النقاد ، يساهمون في خلق صراع فكري ، ومعارك نقدية ، بين الجيل المعاصر ، وسلفه مثلا ، حول مفاهيم وقيم وتيارات واتجاهات الادب ، سواء في الادب العراقي ، او العربي ، وحتى العالمي . ولعل لهذا العامل تاثيره في مبادرة النقاد الشباب ، وفي تاهيلهم للمساهمة في ابراز قدراتهم النقدية ، وامكانياتهم الادبية عبر احترام الصراع بين الاجيال ، اضافة الى التشجيع والامداد بمفاتيح المعرفة الانسانية ، والنقدية ، في كل طرقها ، واصولها ، ومناهجها . واعتقد ان من تاثيراته ايضا ، تهيب النقاد والشباب في الاستعداد لمهمات النقد ، ولعل اعتبارهم لما يقدمونه مغامرات نقدية اشارة لذلك . والعامل الثالث ، عامل العلاقة بين الاديب المبدع والناقد الخلاق ، فالمفروض ان تكون العلاقة بينهما علاقة سوية تقوم على اساس مقابلة احدهما الاخر ، « في معرفة وتعليل موضوعية الخلق الفني ، من جهة الكاتب، حين يرتفع الى الترابط الموضوعي بين مسائله الخلاقة الناشئة ذاتيا على نحو ضروري ، وبين قوانين الواقع وانعكاسه الادبي (٦) .. » ولكن واقع الحال في العراق عكس ذلك تماما ، فالنقد الجيد والحسن هو النقد المادح ، المعطر (للمنقود) باواني البخور الفارسية ، وقناني العطور الفرنسية . والنقد الموضوعي ، المبين لنواقص وسلبيات العمل الادبي مع الاشادة بالايجابيات القليلة ، هو نقد سيىء ، رديء ، حاقد ... وما شابه ذلك من نعوت . وعلى ضوء ذلك تستمر العلاقات الشخصية ، ومعظمها علاقات عشائرية ، واقطاعيات فكرية وادبية ، (بودي ان اكتب تحليلا اعمق واوسع من هذه الاشارة ، ولكن هل يسع المجال ؟) تتحكم فيها الزمر الادبية المنبثقة من واقع التقسيمات الادبية ـ كل زمرة ادبية لها اسم اديب منها ، تجلس في مقهى خاصة بها تقريبا ، لا يمكن ان يخل احدهم بنظام الزمرة ، واذا سالت عن احدهم فلا تجده في غير المقر الدائم للزمرة ـ . هذا الواقع السيىء المتنفذ في الحركة الادبية تكون فيه طبعا ـ ولا شك في ذلك ـ عقده الخواجة والبيك ، صاحبة الشان ، ولها الامرة والرئاسة ، وفيه تبرز كل سلبيات التعامل الادبي والانساني ، وتتوضح شوائب الاجواء المتعفنة ، ومواخير النفاق الاجتماعي والخلقي (٧) .

مما ذكرته ، يبين وضع النقد الادبي في العراق ، فلا مدارس ، ولا اتجاهات نقدية في تاريخ الحركة الادبية الحديثة وهنا .. يجب الا نغفل ارهاصات اتجاه نقدي ظهر بعيد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الخالدة ، على صفحات مجلتي « الثقافة الجديدة » و « المثقف » على شكل لقطات تطبيقية على نماذج ادبية عراقية ، وترجمات وتعريفات بالروائع الانسانية في الادب العالمي ، واحاديث عن مهمة الاديب ووظيفة الادب ، وابداء ملاحظات سريعة عن الاتجاه الاشتراكي في الادب ، اما عناصر العمل الفني وتكوينها ووحدتها الدينامية ، فلا يتطرق لها الا لماما ، وهذه المسالة داء كتاب هذه الاتجاه في تلك الفترة في معظم الاقطار العربية (٨) ، وظهور الارهاصات كان نتيجة لما صحب الثورة من نشر الفكر الاشتراكي ، ومساهمة التنظيمات المهنية في خلق الوعي الاشتراكي بين الجماهير الكادحة . ولم تستمر هذه الارهاصات وتتبلور ، فقد خنقتها اجواء انتكاسة الثورة ، وهذا امر طبيعي ، لكونه انعكاسا لما حل في الوضع الاجتماعي من تدهور وغزو فكري رجعي ، ثم حال الكتاب انفسهم ، بما لحقهم من تشرد ، وسجون واضطهاد ... والخ ، ولكن .. بعد منعطف حزيران ، والتناقضات المشار اليها في المقدمة من البحث ، ومع نمو الوعي التقدمي ، والمشاركة الايجابية في ترجمة ونشر اسس الفكر الاشتراكي العلمي ، والانساني ، وتطور الخلفية الفكرية لقطاعات واسعة من ابناء الشعب ، عادت الارهاصات الاولى تحمل وتمثل اتجاها جديدا في رؤية الواقع ، يستند الى الماركسية اساسا في رؤياه ، ولا شك ان الماركسية كما يقول اراجون « كانت اول محاولة ، بل المحاولة الوحيدة ، التي تلزم من يعتقد بها الا ينسى ابدا انه لا يوجه كلامه الا لمن يحيطون به فقط ، وهو ملم بظروف حياتهم التي يشاركهم فيها ، بل ويخاطب كل الناس ، كما هم على اختلافهم عنه ، وفي ذهنه ابعاد مستقبلهم .. (٩) » ، واول ما صدر عن هذا الاتجاه النقد النظري ، مطالبا الاديب بوعي وادراك مسؤولياته ، ومهمة عطاءاته ضمن المرحلة التاريخية والظروف الاجتماعية التي يعيشها ، ومدى تمثلها لطموحات مجتمعه ، وعصره ، واتخاذ موقف فعلي منهما ، والتخلص من ادران العبث والصوفية والانهزامية، انطلاقا من خضوعه ـ كما يقول الناقد محمد الجزائري ـ « لمحصلات القوى المجتمعية والسياسية والتاريخية، ليؤكد وجوده في اثبات هويته كانسان يواجه الازمة ويجتازها ، لا في متاهات ميتافيزيقية او هروبية، ولا في انسلاخ عن جلد الاحداث ولا في التسطح على اديم الاشياء .. بل في الغور داخل الاشياء وفهم قوتها واستيعاب كل ابعاد ماساة انساننا في كل الوطن العربي .. (١٠) » وعلى اساس ان العمل الفني والابداع الخلاق « ليس انطواء على النفس بل انه على عكس عملية حفر السراديب ، سراديب الحجر اللانهائية والباطلة ، انه نظرة موضوعية للعالم ومشاركة وتلاق مع الاخرين .. (١١) » . وكما اكد

---

(٤) د. علي سعد ـ النقد والعملية الابداعية ـ الاداب ع١ ك٢ ١٩٦١

(٥) صبري حافظ ـ ازمة الجنس بين المنهج والنقد ـ مجلة العلوم ص ٢٣ ع١١ ت٢ ١٩٦٣

(٦) جورج لوكاتش ـ دراسات في الواقعية ـ ترجمة د. نايف بلوز ص ٢٤٦ دمشق ١٩٧٠.

(٧) هذه (الامراض) برزت بشكل واضح وسيىء في ما يسمى (بجايخانة الادباء) !.

(٨) راجع مقالة غالي شكري ـ الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث ـ الاداب ع١ ك٢ ١٩٦١ وكتابيه « كلمات من الجزيرة المهجورة » و « مذكرات ثقافة تحتضر » حيث المقالة فيهما .

(٩) اراجون ، من مقدمة كتاب « واقعية بلا ضفاف » ـ ترجمة حليم طوسون ـ دار الكاتب العربي ـ القاهرة .

(١٠) محمد الجزائري ـ ادب المعركة ام ادب الثورة ـ الاداب ص ١٣ ع١ ك٢ ٩٦٩

(١١) روجيه جارودي ـ واقعية بلا ضفاف ـ ص ٢٠٠

الناقد فاضل تامر « ان المطالبة هنا بالتزام الكاتب لمواقف التطـور الثوري ، لا يعني مطالبته بالافتعال والتزييف لتقديم ادب لا يستطيع ان يصل هو بوعيه وعواطفه الى ذراه ، اننا ندرك جيدا ان الكاتب لا يستطيع ان يعبر الا عن تجربة يعيشها وعن وعي يمتلكه ، وافق يملأ حياته ، ولهذا فلكي يستطيع الكاتب ان يقدم ادبا ثوريا مستقبليـا عليه قبل كل شيء ان يقف كانسان في صف الجماهير وفي صف الثورة يغني امالها وتطلعها .. (١٢) » .

وتابعت بعد ذلك محاولات النقاد المؤمنين بهذا الاتجاه ، بطـرح نظرتهم المنهجية في نقد تطبيقي للاعمال الادبية العراقية ، من قصـة قصيرة ، وشعر ، ومسرح ، وقصة طويلة ، وكما ذكرت سابقا ، فان هذا الاتجاه ، لم يواكب ويتابع الحركة الادبية المعاصرة بنشاط وجدية، وما قدمه لحد الان ، يبقى مقصرا بحقها ، لكنه يظل حاملا سمات الاتجاه ومؤمنا بان مهمة الادب والفن ليس فقط « تغيير الاطارات التقليديـة للحياة ولفت الانظار من خلال التشققات والشروخ ، الى حقيقة اسمى او الدعوة اليها او بث الامل في قيامها » كما يقول جارودي (١٣) ، بل « يعبر عن الصلة الايديولوجية للفنان بمصالح اكثر طبقات المجتمـع طليعية ، ويعبر كذلك عن الاقتناع الداخلي العميق بصحـة فكـرة الاشتراكية ، كما انه يعبر عن الفعالية الابداعية النشيطة الموجهة لدعم وانتصار هذه الفكرة » كما يرى لينين (١٤) . ولا بد لهذا الاتجاه ان يعمل بكل جهوده ، لبلورة وصياغة المرحلة الجديدة للادب العراقـي المعاصر ، من واقع حياتنا الادبية ، ولا بد من اجل خدمة الجماهيـر وتقدم الادب والحركة النقدية من الانطلاق من شروط توفر الحريـة ، وديمقراطية الراي ، والقيادة ، ومساهمة كل الادباء التقدميين ، فـي ترصين العلاقات الادبية على اساس علمي منطلق من افكـار العصر ، متخطين سلبيات الواقع المريض وانحدارات المراحـل السابقـة ، ونصائح المتربعين في ابراج اللذات المنغلقة .

في التطبيق

كل الاتجاهات الادبية تعتمد على فلسفة تدعمها ، وهذا الاتجـاه الجديد في النقد العراقي المعاصر ، يستند ايضا الى فلسفة ـ كما ذكرت سابقا ـ تمده بمنهجها ونظرتها العلمية الى الطبيعة والمجتمـع والتاريخ ، وقد اصطلح على تسميته ، بالواقعية الاشتراكية ، تمييزا عن الاتجاهات والمذاهب الاخرى . « والواقعية الاشتراكية هي طريقة فنية ابداعية للتعبير عن الواقع عبر افكار الاشتراكية ، انها مفهـوم الانسان الجديد ، والبطل الايجابي للعصر » (١٥) منطلقة من ان « حياة الفن وبقاءه كانت وستكون في اكتشاف الحقيقة الموضوعية » كما قال الناقد السوفيتي « كوجينوف » (١٦) وعلى اساس ان « رؤية العالـم بالمنظار الاشتراكي .. تمد الكاتب بنظرة تبلغ من الجلاء ما يتيح لها ان تعكس على نحو اتم واعمق من اية نظرة اخرى ، تعكس الوجود والشعور الاجتماعيين وتمثلهما ، تعكس وتمثل الناس والعلاقات الانسانيـة ، المشكلات التي تطرح على الحياة البشرية والحلول التي تستلزمهـا » كما يقول لوكاتش (١٧) . تمثل هذا الاتجاه ، وتسعى الى تطبيق اسسه كتابات النقاد فاضل تامر ، وياسين النصير ، ومحمد الجزائـري ، وشجاع العاني ، وطراد الكبيسي ، وآخرون يتجهون اليه . وبديهي القول ان اختلاف الاراء في تحديد او الاتفاق على تعريف شامل واحد للاتجاه ، هي نفسها واضحة في كتابات نقادنا ، لكن تضمهم النظرة الشمولية والطموح الى الموضوعية ، وبودي ان ادرس كل ما قدمـه النقاد تطبيقا للاتجاه ، ولكن ، كما اعتقد ، ان دراسة نموذج واحد ، تكفي لمعرفة معالم اساسية فيه ، ولعل ما قدمه الناقد محمد الجزائري في كتابه « حين تقاوم الكلمة » هو المدخل في دراسة الاتجاه ، وقبل ان ادرس الكتاب ، ارى من المهم ان نستخلص اسس هذا الاتجاه ، من خلال رصدنا لما قدم ، وهذا ما يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

١ ـ تحليل الواقع الادبي من خلال الواقع الاجتماعي والسياسي، ومدى مشاركة الاديب في وعي وتغيير الواقع ، على اساس ان المضمون في الفن ، كما حدده الناقد السوفيتي أ. ايفوروف هو : « الواقـع الذي يعكسه الفنان في ضوء نظرة الى الكون شاملة ، وفي ضوء مثل اجتماعية عليا » (١٨)

٢ ـ محاربة الفكر الرجعي بكل اوجهه ، وفضح الاساليب التي يتغلغل فيها بين ثنايا العطاء الادبي .

٣ ـ مطالبة الاديب بالالتزام الثوري ، وتخطي عقبات التخلـف الفكري ، والتهرب والضياع المستورد ، والوقوف امام مهماته الجديدة موقفا فاعلا ، في صف الجماهير الكادحة ، وفي صف الثورة المستمرة « وفقا لما قاله لينين : فان الادب يصبح حرا حين تحدد تطوره فكرة الاشتراكية ، لا المنفعة ، ولا الوصولية ، وحين يتوجه الادب الـى ملايين الكادحين » (١٩)

٤ ـ التاكيد على اثر العمل الابداعي ، وما يحققه هذا الاثر فـي نفوسنا ، بفضل الصور والكلمات والايقاع ... الخ ، وما يحدثه من ارتباط وعواطف واحوال عقلية « وان يثير في خاطرنا حوادث وافكارا من شانها ان تعبئنا مع شيء او ضده » كما يقول لوكاتش في كتابـه اسهام في تاريخ علم الجمال (٢٠) .

٥ ـ التاكيد ايضا على الوحدة الدينامية للعناصر المكونة للعمل الادبي ، فالمضمون الجيد ، اذا لم يطرح باسلوب وشكل جيديـن ، يصبح عملا كروكيا ، لا يؤدي الدور الذي يلتزم القيام به ، ولهـذا يؤكد الاتجاه ، على هذا الاساس غير منفصل عن الاسس الاخرى التي سبقتـه .

وهذه الاسس هي كل مترابط ، تمثل اتجاه الواقعية الاشتراكية في النقد العراقي المعاصر ، وهي العمود الفقري لمؤلف الجزائـري « حين تقاوم الكلمة » . والكتاب مقسم الى اربعة اقسام ، متصلة في مادتها كالسلسلة الواحدة ، لكنها تنقسم حسب النظرة الى جزئياتها ، فالقسم الاول في علاقة الادب بالمعركة ، والثاني في انسانية الادب ، والثالث في الادب العراقي ، والختام في ادبنا والمسالة الفلسطينية . ومهما يكن ـ كما قلت سلفا ـ ان الخيط الرابط لفصول الاقسام هو الرؤية الشمولية ، والطموح الى الموضوعية ، وتطبيق الاتجاه ، فـي النقد والتحليل ، لاهم مسائل الادب ، والانسان ، وارتباطها بالعصر ، والمستقبـل .

ـ الواقـع ... والكلمـة ـ

فبعد منعطف حزيران لزم على العاملين في مصنع الكلمة الخيرة ان يضعوا بلسما لجراح حزيران ، تبدأ من تحديد منطلقات الادب ، ومسؤليته ، ومهماته الجديدة ، وما هو موقف الاديب ؟ وما هو ادب

(١٢) فاضل تامر ـ نحو تعزيز مواقع الفكر الثوري ـ الثقافة الجديدة ص ٢٠١ ـ ع٤ تموز ٩٦٩

(١٣) واقعية بلا ضفاف ص ١٩٩

(١٤) الآداب ص ٩٢ ع٧ تموز ١٩٧٠ ترجمة جليل كمال الدين .

(١٥) د. سعاد محمد خضر ـ الواقعية الاشتراكية كما يراها الواقعيون الاشتراكيون ـ ص ٩٠ ـ بغداد ١٩٦٨

(١٦) المصدر السابق ـ ص ١٠٣

(١٧) هنري ارفون ـ جورج لوكاتش ـ ترجمة الدكتور عادل العـوا ـ ص ٩٦ ـ دمشق ١٩٧٠

(١٨) عدد من الفلاسفة السوفيت ـ الجمال في تفسيره الماركسـي ـ ترجمة يوسف الحلاق ـ ص ٢٠٣ ـ دمشق ١٩٦٨

(١٩) مجلة الآداب (ص ٩٣ ـ ع٧ تموز ١٩٧٠ .

(٢٠) هنري ارفون ـ كتابه السابق ـ ص ٣٤

الثورة ؟. رغم انها مسائل بديهية لا تحتاج الى معرفة بالنسبة الى الكتاب والادباء التقدميين خاصة ، مثلما حدد شعراء الارض المحتلة ، حزيران ولادة لهم ، وكبوة ، وقد يكبو الهمام ، وعدوه تفجيرا للازمة العامة ، لكن ما ترشح من عطور البرجوازية ، وما نضح من جرار الليبرالية ، واهرامات الرجعية العربية ، من تخريجات وتشويهات مقصودة لاسباب النكسة ، وابعادها ، ومهمات الادب ، والانسان ، وتزويق حلول ونتائج لما بعد حزيران ، كان لا بد ان يقف الكتاب التقدميون موقفا حازما ، ويبدأوا في تشخيص اسباب النكسة وكشف المهام الجديدة ، والقاء المسؤلية على مسببي الاوضاع المتخلفة ، بعقلية علمية ، مسترشدين بالنظرة العلمية ، لان الواقع العربي بعد حزيران يتطلب ـ كما يقول لينين ـ « حلولا لمشكلات هي اكثر تنوعا وتعقيدا وعمقا وبما لا يقاس من تلك التي وجب حلها في الماضي » (٢١) ، ولا بد من استمرار الجماهير ـ بعد كبوتها ـ في تطلعاتها ، في التحول الاقتصادي وبناء المجتمع الاشتراكي ، الديمقراطي . وهنا تبدأ مهمة الادب الحقيقية ، مهمة خلق الثورة ، اذ « لا يمكن لادب المعركة ان يكون ثوريا ، دون ان يدين بايديولوجية ثورية ، لكي يخط له وضوحا فكريا ويعمل على ايجاد الصيغة الانسانية البديلة للواقع المتخلف والمحتل والعسفي الذي نعيش » (٢٢) ، ولان المعركة ، هي جزء من الثورة ، والثورة استمرارية لا تتوقف في مثل واقعنا هذا ، فما هي مسؤلية الادب ومهماته الجديدة بعد حزيران ؟.

في حدود ذلك ، يقدم الجزائري ، منطلقا من الاتجاه ، المفاهيم والمسائل المتعلقة بمسؤلية الادب ومهماته . ومسؤلية الادب تبدأ من التشخيص العلمي ، الديالكتيكي للواقع ، والبناء .. بناء قوى الجماهير الكادحة ، ومتاريس فكر ثوري مقاوم ، ومنها تنطلق مهماته ، ف « كيف نبني ثقافة اشتراكية ونرتقي بالحياة والمجتمع دون ان نعي بعمق طبيعة انساننا المعاصر وطبيعة الجماهير الشعبية التي تشكل الاساس في الحفاظ على الثورة ومنجزاتها (٢٣) » ولكن « الخامس من حزيران فتح عيوننا على طبيعة تركيب وبنية مجتمعنا وفكرناوسيكولوجية الحرب والسلام عندنا ، وفتح عيوننا على المتطلبات الحقيقية التي يفرضها التحول الاقتصادي للمجتمع من اجل بناء النظام التقدمي السائر على طريق الاشتراكية (٢٤) » . وهذا الانعطاف بعد حزيران تولد من طبيعة الظروف التي تعيشها الجماهير ، وتوضح جليا فيما نشر من دراسات علمية لطبيعة البنى الاجتماعية وتركيب القوى المجتمعية ، وما اثاره من مناقشات جدية ، اسهمت في تحريك المجالات الثقافية في معظم الاقطار العربية . وهذا هو موقف المثقف الثوري . لكن المشكلة تبقى وما تزال ، مشكلة الاقتران الدينامي بين التنظير والتطبيق ، فمن لا يفهم مهمات المعركة ، ومتطلبات المرحلة التاريخية ، واسس التحول الاجتماعي ؟ وتظل الازمة الاساسية ، ازمة الاسلوب والسلوك العربي ، وازمة التنظيمات الفكرية و (الحكومية) السائدة في المجتمع العربي ، هذه الازمة هي الداء الواجب الاهتمام به ، وطروح الواقع العربي اليوم ، من انتكاسات متتالية للقوى الثورية في الوطن العربي ، واستشراء القوى الامبريالية، اكبر دليل على استفحال الازمة ومن هنا يجب ان نفهم جيدا ، كما يقول ماركس « ان سلاح النقد لا يمكن بحال ان يحل محل النقد المسلح ، فالقوة المادية لا تقاوم الا بالقوة المادية ، ولكن النظرية تصبح بدورها قوة مادية وقتما تعتنقها الجماهير .. » (٢٥) . وعلى هذا الاساس تشكل مهام الادب الجديد ، ادب ما بعد حزيران ، لتجاوز حدود الازمة ، والتوجه الفعال للايين الكادحين ، وترصين المتاريس الفكرية المواجهة ، وتغيير التشكيلات البرجوازية ، والسموم الليبرالية ، المنبثة في شروح الواقع العربي والادبي . اذ ان « عملية البناء والتغيير الثوريين يجب الا تقتصر على تغيير ملكية وسائل الانتاج بل تتضمن تغييرا في اساليب وتركيب الحكم بما يتناسب مع طبيعة ما تتطلبه ضرورة عملية التغيير من كيان لحفظ المكاسب الثورية وتطويرها الى جانب الثورة الفكرية في المفاهيم ، والثورة الزراعية في الريف ، والثورة الصناعية في المدينة (٢٦) » .

وما يؤاخذ عليه الناقد في هذا القسم ، الاسهاب في تحليلاته ، مما لا يشجع القارىء على التركيز والتفكير ، فالمسائل الرئيسية كررها في معظم فصوله ، وهذا مما لا ينفع التشخيص العلمي والدراسة المنهجية ، رغم التاكيد عليها كمنطلقات اساسية للانسان ، والواقع .. ثم ان المنهج العلمي في البحث والدراسة يتطلب الاشارة وتثبيت المصادر المستقاة منها المقولات التي لا يجد الكاتب امامها بديلا لما في ذهنه من افكار ، للامانة العلمية والتاريخية ، وهذا مما لم يشر اليه الجزائري في كثير منها ، ولا يمنع الملاحظة اشارته الى القليل منها ، والملاحظ ايضا في هذا القسم التاكيد في تشخيصه الصحيح للواقع العربي الذي نعيش ، على الجانب السياسي منه ، والتعقيب على الجانب الادبي ، ورغم الترابط الدينامي بينهما ، فان الموضوع الرئيسي هو الادب ، فلزم ان ينطلق من الواقع الادبي ، ومدى عكسه وتجاوزه للواقع الاجتماعي والسياسي . وما ذكرته لا يقلل من اهمية القسم ضمن الكتاب ، فالجراة في التحليل ووضع الاصابع في مواضع الداء ، هي الاساس المهم ، وما يتبقى من ملاحظات تشير الى اضافات لاستكمال الموضوع ومهماته .

الالتـزام ... والعصر

والادب ينطلق من « واقع الحياة ليصور اعماقها بمضامين صادقة تخدم قضية الانسان ، وتعبر عن نوازعه الخيرة ، والتطور الايجابي فيه (٢٧) » . هذه الرؤية العلمية منطلقة من ان الفن كشف للانسان « عن كل ما هو انساني لديه ، ودلل قبل كل شيء على قوة الاساس الابداعي اللانهائي لديه ، وسواء كان ذلك في عصر سيادة الوثنية ام في بداية عصور التاريخ البربرية ام في العصور الوسطى، ومفاهيمها الخاصة ، فقد عرف الانسان مع ذلك نفسه واصبح خالقا وسيطر بشكل رائع على العالم الخارج عن حدود سيطرته (٢٨) » . وعندما يقوم الانسان كما يقول ماركس « باعادة خلق نفسه فانه لا يخلقها في اتجاه واحد معين ، وانما يخلق نفسه في شكلها الكامل (٢٩)» وعبر هذا الاساس ينظر الاتجاه النقدي الى الادب ، قديمه وحديثه ، فلا يرفض القديم لقدمه ، ولا الجديد لجدته ، وكذا قبوله ، بل يقبل الادب اذا كان مع الانسان وفي خدمة قضيته ، ويرفض ادب الخداع والخديعة ، ادب الابراج والصالونات ... اذ ان الواقعية الاشتراكية تؤمن بالادب الحي ، المتطور ، المبدع ، ادب الانسان الجديد المتطلع الى مستقبله المشرق، عبر التحامه بقوانين الواقع ، وضرورته التاريخية وتقدمه ، ومنه تنبثق انسانية الادب . وهذا اساس مهم في الواقعية الاشتراكية كمنهج انساني في الادب .. وهو ما يركز عليه الناقد ـ في الفصلين الاولين من القسم الثاني ـ رادا على الادعياء النافين له .

ان الادب هو نتاج عمل الانسان ، فهو لا بد ان يكون معبرا عن هذا الانسان ، وهو يخلق نفسه من جديد ، من خلال حياته ، بكل ما فيها من افراح واتراح ، من نكسات وانكسارات ، وتطلعات الى اجتيازها .

---

(٢١) حين تقاوم الكلمة (ص ١٤ ـ نقلا عن المؤلفات حـ ٢٩ ص ٦٦

(٢٢) ن. م ص ٢٠

(٢٣) ن. م. ـ ص ٤٢

(٢٤) ن. م ـ ص ٤٣

(٢٥) نقلا من الادب والفن في ضوء الواقعية ـ جون فريفيل ـ ترجمة محمد مفيد الشوباشي ـ ص ٥٥ ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة.

(٢٦) حين تقاوم الكلمة ـ ص ٦٠

(٢٧) ن. م ـ ص ٧٠

(٢٨) د. سعاد محمد خضر ـ كتابها السابق ـ ص ٢٣

(٢٩) ن. م ـ ص ٢٣ ـ نقلا من ماركس ـ انجلز ـ حول الفن ـ حـ١ ص ١٨٠

ومدى صدق الاديب في عطائه ، وصدقه في المعاناة الحقيقية في ابداعه ، يدفع فنه الى الحياة ، والتاثير .. ومن هنا تعمل الواقعية الاشتراكية الى دراسة الشخصية الانسانية ، والتعبير عن القضية الانسانية عبر التصوير الصادق لحياة الجماهير ومستقبلها التاريخي. ولذا يؤكد الناقد على ان الادب يتميز بانسانيته ، « ويعبر عن مظاهر الحياة ، لا بشكل يشوه الواقع الموضوعي بل بشكل يخدم هذا الواقع ويطوره ، عبر عملية نفي كل ما هو لا انساني ولا اخلاقي ولا منجز ، فالانسان الجديد الذي نسعى اليه ، من خلال الادب ، هو النموذج الاكثر استيعابا لحركة الاشياء وتفاعلها .. والاكثر انتظاما في حركة الوجود والتاريخ (٣٠) » ، وعلى ان يكون مسار الكلمة في خدمة الانسان ، وقضيته ، وقوانين واقعه ، ولكونها صوت الاديب الانسان ، وشرفها في صدقها وتاثيرها ، فمهمتها كما يركز الجزائري « ليس فقط لخلق الاندهاش لدى القارىء ، بل خلق امكانية العمل لتغيير الاشياء (٣١) » ، وان تكون مشدودة في مسارها الى الوعي الانساني ، والى العصر .. « ومن هذا المنطلق لا يمكن للاديب الانسان الا ان تكون كلمته ، هي تاريخ نضالي مشرف ، اذ ان مسارها يرتبط لحد كبير بمسار تاريخي طويل ، وملتصق بالجماهير (٣٢) » ، وهذا الاحساس بقيمة الكلمة ووظيفتها ، هو ما تركز عليه الواقعية الاشتراكية في الادب ، ويؤكده الاتجاه النقدي في الادب العراقي المعاصر ، ولدورها المهم في عملية التغيير ، والتحامها بمسيرة الجماهير ، وتطلعاتها ، والتعبير عنها ، يتحدد مسارها ويتشكل مفهوم الالتزام ، الالتزام في الادب ، فما هو مفهوم الالتزام في الادب ؟.

لقد تباينت تعريفات الكتاب له انطلاقا من مواقعهم الطبقية ، وتمثيلهم لافكارها ، اذ ان « ثمة ترابطا فلسفيا بين الادب والمجتمع ، الادب والحياة ، يقوم على اساس « الايمان بالانسان » كمحصلة لهذا الترابط ، وانطلاقا من واقع اقتصادي معين ، ووفق قوانين مجتمعية خاصة ، لا يمكن فصل هذا الترابط عن ذهنية الاديب التقدمي ، فهو بالضرورة مع المجتمع ، والاحداث العالمية الكبرى ، فيتاثر بها ويؤثر فيها .. (٣٣) » ، فمفهوم سارتر ، او مورافيا ، او جارودي للالتزام يتباين حسب وضع كل منهم الاجتماعي ، وانتمائه الطبقي ، وموقفه الفكري ، رغم اتفاقهم في المشاركة في القضايا الانسانية والسلم العالمي ، ومن خلالها نفهم الالتزام ، فالالتزام في الادب ـ حسب نظرة الواقعية الاشتراكية ـ ليس فقط « الايمان بالانسان » كما يقول الجزائري ، بل الايمان ايضا بتطوره ، وتطور واقعه الموضوعي الى مستقبل زاهر ، والايمان ايضا بفكر الانسان الهادف الى رفاهه وخيره .. عبر الكلمة الخيرة ، العطاء ، المميزة والمؤثرة ايضا .. ولذا يتباين فهم كل منهم ، فليس الالتزام الزاما ، ولا خضوعا ، ولا هدما لقيم الانسان ، وقضيته العادلة . ومن هذا فلا يمكن ربط سارتر كقاص مع شولوخوف كقاص ايضا على خط واحد في هذا المفهوم ، واساسا ، فان للالتزام في الادب ، ابعاده وحدوده ، ولذا لا يمكن اطلاقه بدون ذلك ، وهو ما فعله الناقد في هذا الفصل ، فقد تشابكت عليه خطوط الموضوع ، وتسطحت كلماته دون ان تتعمق في التحليل ، فهو يقرن سارتر كوجودي، وبرناردشو كفابي وكوكتو كانساني، وشولوخوف كشيوعي ، لالتقائهم ـ كما يقول ـ في الدفاع عن الانسانية التقدمية وقضية السلم (٣٤).. ولكن هل التقوافي ما قدموه من ادب ـ والبحث عن الادب الملتزم ـ بما قدموا من مواقف اجتماعية ؟. ثم يسهب ـ ايضا ـ في تعريف جورج حنا ككاتب تقدمي غير حزبي ، وسارتر وانضمامه الى اليسار الفرنسي الجديد ، واسس الوجودية ، والتقليعات الجديدة في اوربا ، دون ان يحدد ما هو ارتباطها بمفهوم الالتزام في الادب .. يلقي هذه الفقرة وسط الموضوع بصورة غامضة: (ان الالتزام في الادب يختلف من حيث الاساس ـ في المدارس الادبية ـ عن السياسة ، فان المدرسة البرناسية او مدرسة الفن للفن، بقيت في حدود الشعر الغنائي ، والوصفي على الاخص ـ اما مدرسة « النقد الجديد » الامريكية « مدرسة الاسلوبيين » فهي تلتزم في تطبيقها لقواعد الاسلوب الفنية .. الخ و « الشكليون جعلوا كل القيم الفنية منحصرة في « استخدام نوع معين من اللغة » (٣٥) ولا ندري بعد ماذا يريد وما هو هدفه فيها ، ثم يعقبها « وكيفما كانت طبيعة الالتزام فان الاثر الادبي متحيز بطبيعته ، لان العمل الادبي الملتزم ليس هو « غاية مطلقة » بل هو غاية انسانية ، مرتبطة مع حرية الانسان المشددة بالمعنى الانساني الجماعي للحرية » (٣٦) ، فما علاقة هذه الجملة ، بسابقتها ، وكيف يكون العمل الادبي ملتزما ، ومنحازا ، اذا صدر عن مدرسة الفن للفن او مدرسة « الاسلوبيين الامريكية » ؟ . ان التزام هذه المدارس بشكلية خاصة بها ، لا يعني الالتزام في الادب ، اذ ان الالتزام ـ لا يعني هذا الالتزام الشكلي ، وهذه المدارس التي عددها الناقد لا تختلف عن السياسة ابدا ، لانها افراز عن تاثيرات السياسة الامبريالية ، وهي منعكسة ومرتبطة بها ومعادية لادب الانسان ، وملايين الكادحين . ويتبين ـ هنا ـ التباس المعنى اللغوي لكلمة الالتزام عند الناقد ، ثم تعويمه لتحديداته ، وقد يكون انفتاحه العام ـ بلا تقييد ـ على الفكر العالمي ، واعتماده على مقولات مترجمة غير واضحة سببا في هذا الارتباك في الفصل ، وهو بحاجة الى اعادة نظر ووضوح اكثر ، كما في الفصل التالي (الادب وصوت العصر) . فيشخص فكر الاديب وهو « انعكاس من واقع موضوعي ، ونتيجة وعي اجتماعي معين ويكون من الطبيعي ايضا ، ان هذا الانعكاس لم يلد عفوا او آليا ، بل انه تشابك ديناميكي يتلاطم مع ملامح الوجود ، والانسان والعصر ، خلل الحضارة (٣٧) » ويؤكد على ان سمة العصر هي الاشتراكية العلمية ، « فلا بد ان يتبنى كل الادباء التقدميين الفكر الاشتراكي .. وان يدرس كل الادباء ، الاشتراكية العلمية ، والفلسفة الماركسية ، مع ركائزها اذ ان كل اثر ادبي ، يحمل عناصره الايديولوجية .. (٣٨) » والاثر الفني ـ كما يقول لوفيفر ـ « يضع نفسه امام المعرفة بوصفه حدثا واقعيا ينبغي معرفته ، والنشاطية الفنية للاثر الادبي هي امتزاج تمرسي لعملية مباشرة ، وهي متحدة بموضوعات الحياة وطبيعة الكائن .. (٣٩) » وخلل هذا الفهم يبدع الاديب الواقعي الاشتراكي ، ليكون شاهد عصره وخالق واقعه الجديد .. وابداعه يكون متناميا مع تطور حياته وواقعه ، فالادب ليس شكلا مطلقا ، « بل هو شكل تحدده سمات الوجود الاجتماعي المعين (٤٠) » وهو بصورته هذه يسهم في تفجير الازمة العامة ، في المجتمع ، والتغيير للاطر والقوانين المكبلة لحرية الانسان . وموقف الاديب تمليه ضرورة اختياره لصفة التقدمية ، وهو بها يكون متضامنا ضامنا ايديولوجيا ، مع قضية الاشتراكية ، لانها البديل الافضل لكل النظم السائدة ، ولانها الطريق الصحيح للحياة الحرة الكريمة للانسان . (ثم يناقش الناقد ويلقي اضواء على مسائل مهمة في الواقعية

---

(٣٠) حين تقاوم الكلمة ـ ص ٨٢
(٣١) ن. م ص ٨٥
(٣٢) ن. م ـ ص ٩١
(٣٣) ن. م ص ٩٤
(٣٤) ن. م ص ١٠٣
(٣٥) ن. م ص ١٠١
(٣٦) ن. م ـ ن. ص
(٣٧) ن. م ص ١١٠
(٣٨) ن. م ص ١١١
(٣٩) نقلا من ن. م.ص
(٤٠) ن. م ص ١١٣

الاشتراكية والاتجاه النقدي ، مبتدا ، بالماركسية والادب الواقعي ، ادب اشتراكي ام واقعية اشتراكية ، عن البطل في الادب ، حول الادب البرجوازي وحرية الفنان .. معتمدا على اراء ارنست فيشر ، واراجون في مقدمته لـ « واقعية بلا ضفاف » .) . وقد لاقت الواقعية هجوما من كثيرين .. اكثرهم لا يهاجمونها لاسمها فقط ، ويدعون الخروج عن (اطرها) . بل للفكر الذي تحمله سمة لها . وقد دارت نقاشات ومحاورات عديدة ، وما تزال لتوضيح مدلولها ، وتعريف اسسها ، ولكن المجمع عليه ، ما دام الاساس هو الواقع الموضوعي ، فان تقديمه من خلال تطوره الثوري ، وعكسه من خلال رؤية علمية للمستقبل ، هو الذي يحدد مدلول الواقعية في الادب ، وهي بهذا رفض للرومانسية الساخطة ، كما يقول الناقد ، ورفض لكل اساليب المودرنزم الانتقادية . وليست التسمية التي يريدها فيشر ذات اهمية في انهاء الصراع الفكري والجدل حولها . والادب الواقعي المستنير بالاشتراكية ، الملتحم بحركة الجماهير والتاريخ هو ادب الواقعية الاشتراكية ، وهو الذي ـ كما يؤكد بيلنسكي يعكس الحركات التحررية الجديدة « وهنا يكون تاثير الادب اعظم واعظم ، فالادب لا يعكس مثل هذه الانعطافات في المجتمع وحسب بل يعجل من نموها ايضا ، انه يكون في الطريق دليلا بدلا من ان يسير في الذيل (٤١) » ويتمثل هذا، في « البطل » الذي تصوره الواقعية الاشتراكية ، وتسعى الى تقديمه وهو المثل الاعلى الاجتماعي من وجهة النظر الماركسية ، كما يقول الناقد ـ « فالانسان الجديد الذي نسعى من اجل ان يكون هو انسان القرن الحادي والعشرين ، انسان المجتمع الاشتراكي الجديد ، والجماهير التي تشكل الحيز الاساسي في المضامين الادبية والفنية الاشتراكية ، تعتمد الانسان الجديد ، بطلا ، وهو انسان اجتماعي موجود ينمو ويتطور من خلال تطور المشاريع الاشتراكية والمجتمع الاشتراكي .. (٤٢) » والبطل كنموذج يتاتى عبر مسائل تلقائية « وعبر فعالية الحياة ، وغنى التعاطف بين الكائن البشري المدرك وبين الجماهير صانعة التاريخ (٤٣) » ، اما عن البطل الجديد في الادب العربي ، فيحدده الناقد بالفدائي الثوري ، والفدائي الثوري « ليس المناضل الذي يحمل السلاح ـ وحده ـ على الارض المغتصبة، بل انه المناضل الذي يغذي حركة التحرر الانساني ، وبناء المجتمع الجديد ، في كل مكان على ارضنا العربية ، انه الثوري الذي يسهم في الكفاح ضد العسف والاضطهاد ، والذي يسعى من اجل نظام حكم تقدمي في وطنه ، وهو المناضل الذي يسعى لدفع مجتمعه نحو الافضل ، نحو البناء الاشتراكي ، وهو كل انسان يملك رؤياه الثورية من خلال نظرية مرشدة ، ليكافح كل تظاهر السلب في الحياة والمجتمع والعصر ، والانسان الذي يربط مصالحه كلها ، ومصيره بمصائر البشرية التقدمية جمعاء ، انه الانسان الذي يحقق كامل افعال الفدائي الثوري »(٤٤) وهذا ما يؤكد عليه الاتجاه النقدي ويطالب به ، لان منعطف حزيران ـ كما شرحنا ذلك ـ يعكس ويطالب بهذه الحقيقة ، وهذا لا يتوفر بشرط الحرية ، فما هي الحرية التي نريد ؟. ان الحرية ضرورة للاديب والفنان ، وبتوفرها يستطيع ان يقدم عطاءاته الهادفة ، وهي ليست تلك « الحرية اللاارادية التي يتشبث بها السرياليون » .. « والحرية هي ارتباط الانسان بالوعي الانساني ، انها اختياره الواعي لمسؤليته التاريخية ولالتزامه .. » « وهي كما يقول ماركس : ادراك للحاجة او الضرورة والسيطرة عليها .. »(٤٥) . هذه الحرية التي يجب ان تتوفر لا الاختناق ، ولا الحرية البرجوازية المنفلقة .

(٤١) نقلا من ملحق كتاب : نقاش حول الادب الاشتراكي والادب البرجوازي ـ شاو شوان لين بغداد ١٩٥٩ ـ ص ٧٥

(٤٢) حين تقاوم الكلمة ص ١٢٥

(٤٣) حين تقاوم الكلمة ـ ص ١٢٨

(٤٤) ن.م/ص ١٢٥

ـ ادبنا .. وقضية الانسان ـ

ما هو وضع الادب والاديب في العراق ؟ هل قدم الادب العراقي صورة حقيقية لنضال الجماهير وهي تعبد درب الحرية والاشتراكية بدمائها ؟ يقول الناقد عن الادب : « لقد كان الادب العراقي ادبا ثوريا ، وحياتيا ، عالج الفترة وعاش ظروفها بصدق واخلاص .... وكثيرا ما عاش الادب التقدمي في العراق مع سرعة الخفقة في الحدث والتهاب المسائل المطروحة .. لكنه جاء مصداقا ليعبر في صيغة محسوسة عن العالم ، باسلوبه الجزل ومحتواه الايديولوجي الفني نسبيا ، اذ ان النتاج الادبي في العراق اهتم بالمحتوى الثوري ، اكثر من اهتمامه بالشكل الفني ، تعبيرا عن العلائق الانتاجية في المجتمع ، وحركة التاريخ ، وطبيعة العصر ، وقد برز ذلك في ادب الخمسينات وحتى بداية الستينات »(٤٦) . اما الاديب فمن خلال معرفة ومعايشة للواقع الادبي ، يقسم الناقد الادباء العراقيين الى قسمين : الاول يمتلك قضية ويسعى في سبيلها ، والثاني ، لا يمتلك قضية ويحاربه الاول . وهذا هو الواقع الادبي . فقد سعى الاديب الاول بكل ما يملكحتى نفسه الى خدمة الادبوتطويره وتعريفه ، ومعايشة قضايا الجماهير والتفاعل معها ، والتعبير عنها، فحصل من جرائها السجون ، والتشرد والنفي والجوع . وعاش الآخر في صالونات المكاتب الرسمية ، وتحت ظلال النعم الماجورة،وبالبديهة، قاوم الكلمة الحرة ، المناضلة ، وشجع على سجنها ، ونفيها . ومع كل ذلك .. ظل الاديب العراقي حاملا سمات الواقع الاجتماعي ، المتفجر دوما ، المعبر عنه بصدق وحرارة ، وظل الاديب العراقي يعاني ويناضل ضد كل الوان العسف والحرمان . وبقيت الازمة ، ازمة انسانية الانسان ، هي محور القضية ، لا ازمة الادب وفنونه ، ولا شكليات التازم البرجوازي ، بل « ازمة الانسان امام مقومات حياته ووجوده وتحركه »(٤٧) . ومع هذا كله ايضا ، لا يمكن اغفال الحقيقة. « في العراق ليس ثمة ادب او فن اشتراكيين بشكل واضح ، وان بعض الكتابات التي تدعي الاشتراكية لهي تفتقر لجوهر فهم الانسان الاشتراكي ، والقاعدة الاشتراكية في المجتمع ، والنظرة الاشتراكية للحياة وروح العصر ..»(٤٨) . هذه الحقيقة يركز عليها الاتجاه النقدي ، وهو يحلل واقعنا وفكرنا ضمن المرحلة الادبية التي نعيش ، ويطالب بتفهم واع لها ، وان وجود افكار اشتراكية لا يوفر بالضرورة ادبا او فنا اشتراكيين في هذه المرحلة بشكل خاص « لان القاعدة المادية لا تزال تتخبط بمتاهات طبقية غير واضحة ، وان جهدا تاريخيا وثوريا طويلا ، تقتضيه الضرورة لتصفية كل مخلفات الاستعمار والاقطاع »(٤٩) كما يؤكد الناقد : « ان افتقار الكتابات المطروحة الى عمق نقدي، او منهجية واضحة ، هو افتقار فيالجوهر، الى فهم ايديولوجي واضح للحياة ، ولقضايا الانسان والعصر والمعركة »(٥٠) . لذا يتطلب الان ، ادبا ثوريا اكثر وعيا ، واقدر

(٤٥) ن.م/ص ١٣٢

(٤٦) ن.م/ص١٤٢ .

(٤٧) ن.م/ص ١٥٧

(٤٨) ن.م/ص ١٥٨

(٤٩) ن.م/ص ١٥٩

(٥٠) ن.م/ص ١٦٠

على التعبير عن طبيعة المرحلة التاريخية ، وتركيب القوى الانتاجية الجديدة ، ومتطلبات الواقع الراهن لمجتمعنا.. فهل قدم الادب ذلك، وماذا قدم للمسالة الفلسطينية ؟ هل تجاوب مع القضية الفلسطينية، واستفاد من المحن التي مر بها ؟ كيف عكسها ، او تفاعل معها بمـا طرحته كتاباته ، وهل كان بمستوى القضية والثورة والانسان ؟ . ان الادب هو انعكاس للواقع الموضوعي وتجاوزله، ولكن تشعب الممارسات الثورية ، وقوة الاجهزة المعادية للانسان في الوطن العربي ، ادت الى تمزق القوى التقدمية ، وتشتيت نضالها ، وبالتالي الى تحديدها ، والتاثير على الادب كانعكاس لمظاهر هذا الواقع المؤسفة ، فلم يستطع ان يتجاوب ويتفاعل مع القضية الفلسطينية ، اضف الى ذلك انحراف الواقع والوجود العربي عنها ، ونظام التجزئة الشكلية ، واستمرار الاجهزة الحاكمة وقواها الداخليةكقوى تسلطية ومناقلمة للواقع القطري، والقومي ، وغير قادرة على ارتباط مع القوى الجماهيرية وطلائعها .. وهذا ما يعنيه الناقد بخاتمة الكتاب ، بعد ان يستمر بتحليل الواقع العربي من الجانبين السياسي والاجتماعي ، ثم يعرج الى دور الادب، والشعر خاصة ، مستشهدا بشعراء المقاومة العالميين ، الذين قدموا انفسهم وعطاءاتهم الابداعية مشاعل نور في دورب النضال والمقاومة لكل اوجه الظلام ، ويخلص الى المطالبة بتفهم القضيـة ، وادراك ابعادها ، وابعاد المعركة الحالية ، وقضية الانسان العربي ، وموقعه امام الهجمات القادرة من كل القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية والطوابير الاخرى . واخيرا .. اين موقع الانسان العربي وقضاياه في الادب العربي ، والعراقي ؟

لماذا لا يتوفر هذا النقد ؟ ويلقي الاضواء على الركود ، والسلبية في هذا الواقع المدان ؟ ولماذا ؟

ان معطيات « حين تقاوم الكلمة » قدمت ما تستطيع قولـه في واقعنا الراهن ، مناقشة ، ومحللة مسائل ودراسات في الانسـان ، والادب والعصر ، ولكننا نظل نتساءل بعد .. عن كل ما يدور فـي ذهن الانسان العربي ، فهل قدم الادب ، والنقد ، اجوبته عليهـا ؟ ونرجو ان يكون ما قدمناه ايضاحا بسيطا للاتجاه النقدي فـي الادب العراقي المعاصر ، وايضا ، نرجو ان توفي الكتابات الاخرى حقها ...

العـراق

عبد الكاظم عيسى

الثورة الجنسية

تاليف جورج بالوشي هورفات

ترجمة الدكتورة سامية اسعد

يعالج هذا الكتاب احدى المشكلات الهامة التي يواجهها عصرنا اذ يتحدث عن ثورة حقيقية في الاخلاق ، اي عـن احلال نظام جديد محل النظام القديم البالي ، فيما يخص العلاقـة بيـن الجنسين قبل الزواج ومدى اباحتها ، وفي اثناء الزواج وما يترتب عليه من اجهاض وطلاق وانجاب الخ .. وتتلخص النتائج التي انتهى اليهـا المؤلف في ان العالم شهـد ثورتيـن جنسيتين نقلتاه من التزمت الى الاعتدال تارة والى الاباحيـة والانحلال تارة اخرى ، وفـي ان المراة في العالم اجمع بدات تتحول من كائـن طالمـا احتل مرتبـة ادنى من الرجل الى كائـن حر لـه مكانته الاجتماعية ، بل له مكانة تفوق مكانـة الرجـل احيـانا ، كمـا في اميركـا حيث المراة متسلطـة ..

وقد عالج المؤلف موضوعه بطرق مختلفة ، ففي السويد مثـلا اجرى تحقيقـا مـع الطلاب ، وفي افريقيـا طالع « بريد القلوب » وفي فرنسا رجع الى تحقيقات المجلات النسائية المتخصصة التـي يقارنهـا براي الدارسين مثل اندريه موروا وسيمون دو بوفوار ، وفي ريـو دي جينيرو شرح بسيكولوجيـة الذكـر في اميركـا اللاتينية ، وفي اسبانيا عبّر عن دهشته لنيران الجحيم التـي مـا تزال تسود روح المراة وحسها . وتعمـل لـه المانيا والولايات المتحدة واليابان وايطاليـا والعالم الاسلامي حصادا من الحكايات ذات المغزى ووقائع طريفـة مـن الحياة .

والخلاصة ان هذا الكتاب الذي لا يعالج موضوع الجنس مـن الناحية البيولوجية يعتبر اول محاولة شاملـة لدراسته من الناحية الاجتماعيـة على الصعيد العالمي ، باسلوب مشوق جذاب ..

صدر حديثا عن دار الآداب

الثمن ٥٠٠ ف.ل